أحوال إقليم قورينائية من خـــلال رسائل سينيسيوس القوريني 370-413م

(*) الدكتور: **مفتاح محمد التاجوري**
Email: mft592@yahoo.com

مقدمـــــــــــة،،،

ارتبطت منطقة سيرينايكا (Cyrenaica) أوإقليم قورينائية ارتباطاً تاريخياً وجغرافياً بمصر على مدى تاريخها القديم والوسيط وفي شتى مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية وكذلك الثقافية، وهذه المنطقة اصطلح على تسميتها بإقليم المدن الخمس بينتابولس (Pentapolis): قوريني (شحات) وأبولونيا (سوسة) وبطليمايس (طلميثة) وتوخيرا (توكرة) وبرنيس أو يوهسبريدس (بنغازي)[1]. إلى أن عرفت في فترات لاحقة بولاية برقة، والتي كانت قد تطورت علاقتها بمصر بانتشار المسيحية في مدنها وأريافها. وتأكد ارتباطها المبكر بمدينة الإسكندرية، لاسيما منذ المجمع المسكوني الأول في نيقية سنة 325م، فكانت تبعية هذه المدن لكرسي الإسكندرية البطريركي، حتى أن أساقفة تلك المدن كان يتم تنصيبهم من خلال بطريرك الإسكندرية مباشرة[2].

على أن مراحل تاريخ إقليم المدن الخمس المسيحي على وجه الخصوص قد شحت عنها الكتابات والنصوص التاريخية واللاهوتية، ولم تتجل صورة تلك الأحداث ولو في أطرها العامة إلا في الفترة المحدودة من نهاية القرن الرابع وبداية الخامس الميلاديين وهي الفترة التي تغطيها أعمال سينيسيوس القوريني (Synesius of Cyrene) وهي التي يمكن تسميتها "بالنصوص السينيسيوسية"، إذ

(*) عضو هيئة تدريس بقسم التاريخ - كلية الآداب – الجامعة الأسمرية الإسلامية .

(1) Thory, H. C., *Roman Life Cyrenaica the Fourth Century as Shown in the Letters of Synesius bishop of Ptolemais*, University of Illinois, 1920, pp.1-5.
الصغير أبو صبيع، "نبذة تاريخية عن حياة المسيحية المبكرة في ليبيا ومعالمها الأثرية"، مجلة قاريونس العلمية، العدد الأول والثاني، السنة الثالثة عشر، بنغازي، 2000م، ص72.

(2) إن المحافل التي ملأت تلك الكنائس في أبولونيا والعديد منها في طلميثة وقوريني وفي أنحاء الولاية كانت كثيرة بلا شك، وهناك دليل على سيرينايكا قد أخذت دوراً قوياً ومتصاعداً في المجتمع المسيحي للإمبراطورية الشرقية. بالإضافة إلى إرسال أسقف يمثلها في المجمع النيقي الأول، وكان السكان في المدن الخمس على تواصل مستمر وثابت مع بطريركية الإسكندرية، حيث كان التبادل على مستوى المفكرين واللاهوتيين كبير جداً منذ البدايات الأولى لانتشار المسيحية، ينظر:
Bartson, L. J., *Cyrenaica in Antiquity*, Ph.D. Thesis, 2 vols., Harvard University, 1982, pp.652-659.

تمثل مراسلاته وخطبه وتراتيله بمختلف مضامينها أهم المصادر التاريخية والدينية للإقليم في العصر البيزنطي[3]. وفي الوقت الذي حاول فيه بعض من الباحثين والمؤرخين دراسة وتحليل كتابات سينيسيوس والاهتمام بمسقط رأسه وأسقفيته، فإن السيد ر.ج. جوتشايلد انصبت اهتماماته على عقارات سينيسيوس الريفية، التي تتبعها أثرياً وجغرافياً، وعمل على البحث عن مواقع تلك العقارات[4].

أهمية البحث:-

وللوقوف على تلك النصوص والمراسلات التي تم التأكيد على أهميتها منذ زمن طويل، فإن هذا البحث ينحصر في العرض التاريخي لتلك المراسلات التي تصل في مجملها إلى 156 رسالة، ويشير إلى أهمية ومكانة تلك المراسلات المتفردة دون غيرها من المصادر التاريخية بمسحتها الدينية في تاريخ المنطقة، ودور ومكانة سينيسيوس القوريني في تلك المرحلة التاريخية من نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلاديين.

مشكلة البحث:-

ولعل لظهور عدد من الإشكاليات الموضوعية المتعلقة بالبحث، فإن طرح عدداً من التساؤلات كان ملحاً لمعالجة تلك الإشكاليات، **ومن هذه التساؤلات الكبرى**:

- من هو سينيسيوس القوريني؟ وما الدور الاجتماعي والسياسي الذي شغله في قورينا؟
- ماهي الأسباب وراء تحول سينيسيوس من الوثنية إلى المسيحية؟ وماهو المناخ العام لعلاقات الدولة البيزنطية المسيحية بالوثنيين؟
- وعن الأوضاع الاقتصادية فى الإقليم، كيف كانت أحوال النشاط الاقتصاد من خلال مراسلات سينيسيوس؟
- إلى أي مدي رسم سينيسيوس حدود العلاقة بين السلطات البيزنطية في مدن الإقليم، والقبائل الليبية في الدواخل والمناطق الصحراوية ؟

فرضية البحث:-

- أن هذا النوع من الكتابات التاريخية "**المراسلات**" يمكن أن يمثل إضافة علمية تاريخية، ويسد النقص الكبير في تاريخ الإقليم في هذه الفترة.

(3) Laronde, A., "Roman Agricultural Development in Libya and its Impact on the Libyan Roman Economy before the Arab Conquest", *Libya Antiqua: Report and Papers of the Symposium Organized* by Unesco in Paris, (1984), p.14.

(4) ر.ج. جوتشايلد، دراسات ليبية، ترجمة عبد الحفيظ الميار، أحمد اليازوري، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1999م، ص381.

- رسائل سينيسيوس القوريني مثلت أهمية تاريخية لتاريخ الدولة البيزنطية فضلاً عن إقليم قورينائية.

أهداف البحث:-

يهدف هذا البحث لتتبع ومعرفة أوضاع إقليم قورينائية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية من خلال تسليط الضوء على رسائل سينيسيوس، والعمل على استقراء وتفسير فحوى تلك الرسائل والنصوص بأبعادها المختلفة.

حدود البحث:-

تنحصر حدود وأبعاد هذا البحث الزمانية والتاريخية في فترة حياة الأسقف سينيسيوس(370- 413م)، وهذه الفترة تدخل ضمن العصور الوسطى المبكرة أو التاريخ البيزنطي الباكر، أما مجال والحيز الجغرافي للبحث فينحصر في إقليم المدن الخمس"قورينائية- برقة" شرق ليبيا.

منهج البحث:-

تم اعتماد منهج السرد التاريخي في هذا البحث، والذي يلتزم الحفاظ على كرونولوجيا الأحداث والوقائع التاريخية مع وحدة الموضوع، إضافة إلى تحليل وتفسير الكثير من تلك الأحداث والنصوص كلما دعت الحاجة إلى ذلك.

الدراسات السابقة:-

من الدرسات الحديثة والمهمة التي تناولت موضوع رسائل سينيسيوس القوريني، واعتمدها الباحث في بحثه هذا: كتاب السيد ر. ج. جوتشايلد، دراسات ليبية،وهو من الدراسات القيمة التي اهتمت بالتاريخ الليبي القديم وجمع بين التأليف والكتابة التاريخية وبين أعمال السبر الأثري، والدراسة المهمة للسيد روك : Roques, D., Synésios de Cyréne et la Cyrénaique du Bas-Empire, Paris, 1987، التي اهتمت برسائل سينيسيوس القوريني وتاريخ إقليم سيرينايكا، إضافة إلى رسالة الدكتوراه للسيد بارتسون ,.Bartson, L. J Cyrenaica in Antiquity, Ph.D. Thesis, Harvard University, 1982

هذا وينقسم هذا البحث إلى مقدمة وأربعة محاور رئيسة وخاتمة.

أولاً:- مكانته الاجتماعية ودوره السياسي

ولد سينيسيوس حوالي سنة 370م في قوريني من عائلة ثرية تفتخر بأسلافها من المستعمرين الدوريين اليونانيين الذين استوطنوا إقليم المدن الخمس منذ القرن السابع قبل الميلاد، وحازت أراضي وعقارات كبيرة، فكانت من الأسر الأرستقراطية التي حافظت على أملاكها الريفية حتى عصر سينيسيوس

في نهاية القرن الرابع الميلادي[5]، واحتلت هذه الأسرة مكانة سياسية واجتماعية بارزة على ما يبدو حتى زمن والد سينيسيوس هيسيكيو (Hesiquio)، في حين جمعت شخصية سينيسيوس صفات القيادة والعلم معاً من خلال التنقل بين مدن بلاده ومدن عالم الشرق الشهيرة من الإسكندرية إلى أثينا ثم القسطنطينية طلباً للعلم، وممثلاً لبلاده في عدة قضايا[6]. ويبدو أنه قد تحصل على قدر كاف من العلوم في منزله من خلال المعلمين الخاصين الذين استحضرتهم أسرته لتعليمه الفلسفة والعلوم الأخرى كغيره من أبناء الأثرياء والنبلاء[7]. وهو ما كان له الفضل الكبير في صقل شخصيته وقدرته على مواصلة تعليمه في الإسكندرية ومن ثم في أثينا بعد ذلك، لكن من الملاحظ ومن خلال رسائل سينيسيوس غياباً كاملاً لذكر والديه، والذي من المحتمل أنه قد فقدهما في طفولته أو بداية شبابه.

لقد أهلت مكانة سينسيوس الاجتماعية وحظه الوافر من العلم من استكمال تعليمه العالي في مدينة الإسكندرية على يد الفيلسوفة هيباتيا (Hypatie) ابنة عالم الرياضيات الإسكندري ثيون (Théon) جنباً إلى جنب مع شقيقه يوبتيوس (Euoptius) لاسيما في علم الرياضيات والفلك والفلسفة الأفلاطونية الحديثة بين سنة 390- 393م، وقد ارتبط سينسيوس بمعلمته هيباتيا على مدى سنوات طويلة حتى بعد عودته إلى مدينته في سنة 395م من خلال ما تظهره بعض رسائله الموجهة إليها والتي تصفها: بالأم والأخت والمعلمة والسيدة من أوصاف رفعة المكانة وعمق القرابة[8].

يذكر سينيسيوس شيئاً من التنوع الطبقي الاجتماعي في المجتمع القوريني مع تعدد الديانات التي كانت سائدة في المنطقة على عهده، وقد أظهرت عدد من الرسائل تلك الحياة الاجتماعية المتنوعة والمختلفة في ذات الوقت، والتي هي في حقيقتها امتداداً لتلك الحياة في مصر ومدينتها الإسكندرية التي عاش فيها سينيسيوس عدة سنوات، وقد شملت طبقات هذا المجتمع القوريني: الأغنياء وملاك الأراضي والعقارات، وغيرهم من الطبقة الوسطى من المزارعين، وكذلك الفقراء والعبيد[9].

لم تتوقف رحلة طلب العلم لسينيسيوس السفر فحسب إلى الإسكندرية فبعد أن قضى فيها قرابة ثلاث سنوات توجه مباشرة إلى أثينا لتحصيل مزيد من العلم والمعرفة، لكنه لم يجد فيها زيادة عما

(5) Rapp, C., *Holy Bishops in late Antiquity: The Nature of Christian Leadership in an Age of Transition*, Berkeley- Los Angeles- London, University of California Press, 2005, p.157.

(6) Tovar, S. T., "El Libro de los Suenos de Sinesio de Cirene" *Suenos, Ensuenos y Visiones en la antiguedad Pagana y Cristiana* (Codex no 18), Madrid, p.71.

(7) Thory, *Roman Life Cyrenaica the Fourth Century*, p.58.

(8) Locombrade, C., "Hypatie, Synésios de Cyréne et Le Patriarcat Alexandrin", *Byzantion: Revue Internationale des Etudes Byzantines*, 71/2 (2001), pp.404-405; Manimais, V. Theodosiou, E. and Dimitijevie. M., "The Contribution of Byzantine Priests in Astronomy and Cosmology II. Great Church Scholars in the Early Byzantine Empire", *European Journal of Science and Theology*, 7/4 (Dec. 2011), p.38.

(9) Thory, *Roman Life Cyrenaica the Fourth Century*, pp.34-36.

كان يدرسه في الإسكندرية من فلسفة وعلوم، فعاد إلى بلاده التي كانت تعاني من جور الضرائب وحالة البؤس الاقتصادي التي تعيشها في تلك الفترة[10].

من الملاحظ أن أوضاع الإمبراطورية البيزنطية كانت قد أخذت تتجه إلى الفوضى والانفلات السياسي والاقتصادي في نهاية القرن الرابع الميلادي، إذ تشير نصوص سينيسيوس تحديداً إلى الحالة المأساوية والقاتمة التي كانت تعيشها مدن إقليم سيرينايكا من تردي الأوضاع الاقتصادية وهجمات القبائل الليبية "البربرية" المتكررة على مدن الإقليم وأريافه، بالرغم مما يشار إلى زيادة عدد سكان المنطقة في هذه الفترة، ونمو نفوذ الكنيسة أيضاً التي استحوذت على أراض زراعية كثيرة وبنت وشيدت كنائس عديدة في مدن وأرياف الإقليم[11].

في سنة 397م حظي سينيسيوس بتكليف مجلس شيوخ مدينته قوريني وباقي مدن الإقليم على ما يبدو لرفع شكوى سكان الإقليم والتماس عطف الإمبراطور أركاديوس (Arcadius) 395-408م للحد من الضرائب الباهظة التي فرضت على السكان، فسافر في مهمة رسمية مثلت أهمية الدور السياسي الذي كلفته به مدن سيرينايكا، والذي لم يكن ليكون لولا مكانته الأرستقراطية من جهة وخطابته وتعليمه العالي من جهة ثانية[12].

ولعل المسؤولية الاجتماعية تأتي في المقام الأول بعد اختيار السكان لسينيسيوس للترافع أمام الإمبراطور للتخفيف من حدة الضرائب المفروضة[13]. وقد مكث سينيسيوس قرابة ثلاث سنوات في القسطنطينية خلال سنة (397- 401م) وعرض مسألته على الإمبراطور في خطبة عصماء بعد تقديمه هدية بلاده للإمبراطور وهي تاج من الذهب، وقد قام أركاديوس بالفعل بإعفاء سكان الإقليم من الضرائب[14]. وهناك شيء من حيثيات هذه السفارة التي قام بها سينيسيوس إلى القسطنطينية وعرض قضية إقليم المدن الخمس على الإمبراطور أركاديوس في الرسالة (61) وهي رسالة تصف أيضاً ظروف مغادرة سينيسيوس مغادرة القسطنطينية والمؤرخة بسنة 400 تقريباً[15].

كانت هذه السنوات التي قضاها سينيسيوس في رحلته إلى القسطنطينية تجربة سياسية رائدة كللت بنجاح كبير في معرفة شخصيات مهمة في عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، والتي من المرجح أن من

---

(10) عزيز سوريال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة ميخائيل مكسي إسكندر، مكتبة المحبة، القاهرة، 2005م، ص423.

(11) Laronde, A., "Roman Agricultural Development in Libya", p.21.

(12) Cameron, A., *Barbarians and Politics at the Court of Arcadius*, University of California, 1993, p.13; Manimais, "The Contribution of Byzantine Priests in Astronomy and Cosmology" , p.38.

(13) Boivin, L., "Gravitas in the Desert: an Analysis of Selected Letters of Isidore of Pelusium and his Influence on the Secular and Ecclesiastical Affairs of the Fifth Century Ce", *Queen's University*, (2014), p.26.

(14) Rapp, *Holy Bishops in late Antiquity*, p.157.

(15) Synesius., *The Letters of Synesius of Cyrene*, Trans. Fitzqerald, A, *www.Livius.org*., Letter. 61.

تلك الشخصيات التي سهلت له تواصله مع الإمبراطور قائد الحرس البرايتوري أورليانوس (Aurelianus)[16]، والذي كان سينيسيوس قد راسله بثلاث رسائل ما بين عامي 398-401م[17].

أما الخطبة التي ألقاها سينيسيوس في حضرة الإمبراطور أركاديوس بعنوان: "De Regno" فقد تضمنت في مجملها وهدفت إلى أمرين رئيسيين هما: تخفيف حدة الضرائب والعمل على إرسال التعزيزات العسكرية للإقليم الذي يعاني فوضى وغارات البربر، فكانت النتيجة في النهاية أن نال سينيسيوس حظوة الإمبراطور ورفعة مكانته وعلو شأنه في مدينته بعد عودته[18]. وإن كان السيد جوتشايلد يرى أن سينيسيوس عندما أوفد سفيراً لبلاط الإمبراطور قد أشار إلى مدينته قوريني وما تعانيه من الخراب الكبير، فإن رسائله اللاحقة تفيد أن هذه المدينة ما تزال مركزاً اجتماعياً واقتصادياً مهماً، رغم تنازلها عن وظيفتها كعاصمة للولاية والإقليم أمام مدينة بطليموس[19].

لعل من المواقف الأخرى التي يمكن الإشارة إليها من خلال رسائل سينيسيوس وتاريخ هذه الشخصية في إطارها السياسي هو ذلك الصراع الذي وقع بين سينيسيوس والحاكم البيزنطي أندرونيكوس (Andronicus) لإقليم المدن الخمس، واتضح فيه بجلاء مدى النفوذ الذي أصبح عليه سينيسيوس في داخل الإقليم وخارجه، لاسيما من خلال الرسائل التي أرسلها إلى شخصيات نافذة في كل من الإسكندرية والقسطنطينية.

ظهرت حدة هذه الخلافات بين سينيسيوس وأندرونيكوس بعدما تولى سينسيوس أسقفية المدن الخمس في سنة 410م في مدينة بطليمايس التي أصبحت عاصمة الإقليم في ذلك الوقت، وبعد تزايد حالات الفساد والمظالم التي أظهرها أندرونيكوس في حكم الولاية، عمل سينسيوس وبنفوذه الكنسي ومكانة الكنيسة وأساقفتها بتحذير أندرونيكوس من مغبة تلك الجرائم ومن ضرورة انصياعه لسلطة الكنيسة[20]. وفي الإطار العام لأوضاع الإقليم يشير سينيسيوس في الرسالة الموجهة إلى البلاط الإمبراطوري ولشخص اسمه ترويلوس (Troilus) في سنة 409م عن الأوضاع السيئة التي تمر بها المنطقة وحالة الدمار التي وصلتها من الحروب والمجاعات محذراً السلطات من انهيار الإقليم بالكامل مردداً ما تناقله الآباء والأجداد: "إن ليبيا تهلك بشرور قادتها" في إشارة إلى فساد حاكم

(16) Barnes, T. D.,"Synesius in Constantinople", *Greek, Roman and Byzantine Studies*, 27/1 (1986), p.93.

(17) Synesius, *Letters*. 31, 34, 38.

(18) Thory, *Roman Life Cyrenaica the Fourth Century*, pp.23-24.

(19) كثيراً ما كان يشير سينيسيوس للحالة المتدهورة التي كانت تمر بها مدن الإقليم في تلك الفترة، وعن تراجع مدينة قوريني أمام مدينة بطليمايس (طلميثة) التي أصبحت عاصمة الإقليم، وصار سينيسيوس أسقفها في سنة 410م. حول المزيد من رسائل سينيسيوس ومقاربتها الأثرية، ينظر: ر. ج. جوتشايلد، دراسات ليبية، ص378 وما بعدها.

(20) Rapp, *Holy Bishops in late Antiquity*, p.158.

الولاية أندونيكوس على ما يبدو، وحث على ضرورة اختيار الرجال الأكثر جدارة لتولي هذا المنصب[21]. وقد عرض سينيسيوس تصوره السيء لأندرونيكوس في مواضع كثيرة من خطاباته لاسيما فيما يتعلق بدناءة نسبه وأسرته وقلة علمه وقسوته واضطهاده للرعية بوسائل وطرق غاية في التعذيب من جدع الأنوف، وقطع الآذان، وسحق الأصابع وغيرها من الوسائل الأخرى[22].

عقد سينيسيوس اجتماعاً مع الأساقفة لوضع حد لأندرونيكوس وأعماله، والسعي لإعلان حرمانه الكنسي من قبل كنائس الإقليم، وأمام هذه الخطوة أعلن أندرونيكوس عن المثول لأوامر الأسقف سينيسيوس وسلطته وأعلن توبته أمام الأساقفة، وهو ما دعا إلى العفو عنه، لكن ليس إلا لفترة وجيزة[23]. وقد جاء ذكر إعلان التوبة وقبولها من أندرونيكوس في الرسالة (72) حول بداية عرض قضية أندرونيكوس والموجهة إلى عدد من الأساقفة في سنة 411م[24].

كان سينيسيوس يرغب في إعطاء الفرصة لأندرونيكوس ليكفر عن أخطائه ويعمل على تحسين أوضاع البلاد التي كانت تواجه إضافة إلى فساده انتشار مرض الطاعون وغزو الجراد ووقوع الزلازل، ودخول المدن الخمس في دوامة الحروب، لكن تنصل أندرونيكوس من توبته والعودة إلى أعمال الاستبداد وإفساد الحياة المدنية أدى بسينيسيوس إلى إعلان طرده وحرمانه الكنسي وكل من يناصره[25]. حتى أن سينيسيوس كان يصفه بأنه "رفيق الأشرار ودنيء النفس واللسان على حد سواء" محذراً من أفعاله التي تجاوزت الحدود[26]. وكان لسينيسيوس بمكانته ومنصبه الكنسي القدرة على التوبيخ والعقاب بل والطرد من حضرة الكنيسة[27].

وعن الرسالة الموجهة إلى بطريرك الإسكندرية ثيوفيلوس (Theophilus)[28] من سينيسيوس المؤرخة في سنة 411م بعد قرار الحرمان كما هو متوقع، تشير بصراحة إلى المظالم الكثيرة التي

(21) Synesius, *Letter*. 73.
(22) Slootjes, D., *The Governor and his Subjects in the Later Roman Empire*, Boston, 2006, pp.170-172.
(23) Thory, *Roman Life Cyrenaica the Fourth Century*, p.30.
(24) Synesius, *Letter*. 72.
(25) Slootjes, *The Governor and his Subjects in the Later Roman Empire*, p.172.
(26) يعدد سينيسيوس صفات هذا الحاكم السيئة ويجعله مصدراً لجميع الشرور والمصائب التي تعاني منها مدن البنتابولس في الرسالة (79) وهي المرسلة لأحد أصدقائه في القسطنطينية والمؤرخة في سنة 411م، ينظر: Synesius, *Letter*. 79.
(27) Rapp, *Holy Bishops in late Antiquity*, p.160.
(28) تولى البطريرك ثيوفيلوس بطريركية الإسكندرية بعد البابا أثناسيوس الرسولي، وقد كان من أشد البطاركة صلابة في قيادته للكنيسة المصرية (385- 412م)، وبخاصة ضد الوثنية، كما كان لعلو شأنه السبب في طرد القديس يوحنا الفم الذهبي من كرسي القسطنطينية، ينظر: ثيودور هول باتريك، تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية (الكنيسة التقليدية الأصلية)، ترجمة ميخائيل مكسي اسكندر، مكتبة المحبة، القاهرة، 2005م، ص30.

ارتكبها أندرونيكوس والدور الذي تبذله الكنيسة في مكافحة فساد الحكام وأن إعلان الطرد قد جاء اضطرارياً بعد ضياع العدل وانتشار المظالم على يد هذا الحاكم(29).

وهو ما يعطي انطباعاً واضحاً عن قوة التواصل بين أسقفية المدن الخمس برئاسة سينيسيوس وبطريرك كنيسة الإسكندرية وبخاصة في مثل هذه القضايا ذات الطابع السياسي والديني في ذات الوقت، ويوضح أيضاً مدى النفوذ الذي تحظى به الكنيسة وأساقفتها في الحياة العامة للسكان ومقارعتهم للحكام السياسيين والعسكريين.

أما أكثر الرسائل التي تعرضت لطرد أندرونيكوس من برقة هي الرسالة (57) فإضافة إلى موجة الجراد التي فتكت بالأشجار ودمرت البلاد، فإن أندرونيكوس ما هو إلا شيطان الحرب وأصل الكوارث، ومصدر خراب المدينة، ففي كل مكان يئن الرجال، وتنتحب النساء ويبكي الأطفال، وهذه الرسالة من أطول الرسائل التي تتحدث عن الوضع المأساوي لمدن الإقليم وبخاصة مفاسد وأعمال أندرونيكوس التي هو أصلها وأسها، وكذلك الرسالة (58) وهي استمرار لرسالة (57) والمرسلة إلى الأساقفة حول طرد أندرونيكوس في سنة 412م والتي فيها جملة من التدابير ضد أندرونيكوس وكل من يتبعه، والحث لرجال الكنيسة على تنفيذ هذه التدابير والأوامر(30).

ثانياً:- تحوله من الوثنية إلى المسيحية

يعود نسب سينيسيوس القوريني إلى أبوين وثنيين ينتميان إلى أسرة أرستقراطية يونانية الأصل حافظت على تقاليدها الوثنية حتى نهاية القرن الرابع الميلادي، وهذا ما يعطينا تصوراً واضحاً عن حقيقة استمرار الديانة الوثنية في الإقليم حتى هذه الفترة في ظل التوسع في انتشار المسيحية والاعترافات المتوالية بأحقية الديانة المسيحية في ممارسة شعائرها منذ عهد الإمبراطوري قسطنطين الأول وحتى الاعتراف بكونها الديانة الوحيدة والرسمية للإمبراطورية الرومانية من قبل الإمبراطرو ثيودوسيوس الأول في سنة 381م وعلى حساب باقي الديانات الأخرى اليهودية والوثنية(31).

وعن السياق العام لسياسة الإمبراطورية البيزنطية الدينية في نهاية القرن الرابع الميلادي فإن الأمر كان يجري للقضاء على الديانة الوثنية من خلال الحملات التي شنت على الوثنيين وتدمير معابدهم ويبدو أن إقليم المدن الخمس لم يكن استثناء عن ذلك، لكن تدمير المعابد الوثنية في مدن الإقليم وإن كانت الشواهد الأثرية تشير إليها في تلك الفترة فإن أعمال التدمير لا وجود لها في رسائل

(29) Synesius, *Letter*. 90.

(30) Synesius, *Letters*. 57-58.

(31) رأفت عبد الحميد، طارق منصور، مصر في العصر البيزنطي 284- 641م، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م، ص42؛ مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية: النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981م، ص247- 257.

سينيسيوس، على أن سينيسيوس لم يأت على ذكر المسيحية أيضاً في رسائله قبل أن يصبح أسقفاً[32]. وفي مصر التي تمثل امتداداً جغرافياً وواقعاً تاريخياً لسيرينايكا كان البطريرك ثيوفيلوس قد ركز جهوده في إزالة بقايا الوثنية ودخل في صراع مع الوثنيين[33]، بل كان مسئولاً عن تدمير معبد سيرابيس الوثني في مدينة الإسكندرية[34].

إن عدم وجود ذكر لحالة الصراع المسيحي الوثني وتدمير المسيحية لمعابد الوثنيين في الإقليم في رسائل سينيسيوس يجعل الأمر أكثر تعقيداً بالنسبة لتاريخ المنطقة في تلك الفترة[35]. مع التأكيد بطبيعة الحال أن رسائل سينيسيوس تنم عن قلقه وتخوفه كأسقف من الزنادقة والمتهرطقين أكثر من الوثنيين[36]. لكن مع ذلك كله فإن تفسيرات تدمير بعض من تلك المعابد الوثنية كمعبد ديميترا (Demeter) وبيرسيفوني (Persephone) إضافة إلى المعبد المهم لزيوس (Zeus) قد تتجه إلى النكبات والكوارث الطبيعية التي مرت بها المنطقة والمتمثلة بشكل أكثر دقة إلى الثورة اليهودية التي اندلعت ضد الرومان في سنة 115م، إضافة إلى الزلزال الذي ضرب تلك المدن في عام 365م، وليس بالضرورة أن تدمير وانهيار تلك المعابد قد كان على يد المسيحيين[37].

ومن الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى التحصيل العلمي لسينيسيوس في بداية حياته العلمية التي استقى فيها الثقافة اليونانية وتشرب العديد من العلوم قبل أن يتحول عن الديانة الوثنية وفلسفتها إلى المسيحية في رحلة طلبه للعلم في مدينة الإسكندرية وأثينا.

فمن المرجح أن العلوم التي تلقاها سينيسيوس في بيته ومدينته أولاً ومن ثم في مدينة الإسكندرية لم تكن ذات صلة بالديانة المسيحية، إذ منذ استقراره في الإسكندرية التحق بمعلمته هيباتيا التي أخذ عنها علم الرياضيات والفلك، إضافة إلى الفلسفة الأفلاطونية الحديثة[38] التي كان لها دور كبير

(32) Roques, D., *Synésios de Cyréne et la Cyrénaique du Bas-Empire*, Paris, 1987, p.321.

(33) صبري أبو الخير سليم، تاريخ مصر في العصر البيزنطي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2009م، ص49.

(34) ثيودور هول باتريك، تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ص30.

(35) Driver, R. E., *Temple Conversion and Cultural, Ritual and Topographic Memory in Alexandria, Cyrene and Carthage*, M.A.Thesis, University of Birmingham, 2013, p.45.

(36) Roques, *Synésios de Cyréne*, p.318.

(37) Driver, *Temple Conversion and Cultural*, p.34.

(38) يمكن تعريف الفلسفة الأفلاطونية الحديثة بأنها محاولة لوضع فلسفة دينية، أو ديانة ترتكز على أسس فلسفية، وشكل هذه الفلسفة عناصر من جميع المذاهب، فلسفية كانت أم دينية شرقية ويونانية، وقد حرص مفكروها على الاحتفاظ بالفكر اليوناني، كما ظهرت هذه الفلسفة بشكل كبير في مدرسة الإسكندرية التي احتوت على مؤثرات دينية فارسية وبابلية ومصرية قديمة إضافة إلى الطائفة اليهودية، و الفرق المسيحية التي شكلت في معظمها جزءاً من الحضارة الهلنستية، وإن كان مؤسس هذه المدرسة الفلسفية هو أمونيوس ساكاس (170- 250) إلا أن أهم فلاسفتها هو تلميذ أمونيوس أفلاطين (204- 270) الذي ولد في مصر وتعلم في الإسكندرية، ومن أهم مبادئ هذه الفلسفة الدعوة إلى التحرر من عبودية الجسد بالحياة النسكية ومراعاة الجانب التأملي وتطهير الروح من النزعات المادية، لتصل إلى درجة الروحانية والنورانية إضافة

في حياته فساهمت في تشكيل فكره ومعرفته بالفلسفة الدينية[39]. وقد استمد الفكر المسيحي خواص الأفلاطونية الجديدة "الإسكندرانية" وكانت كل ملامحها في الفلسفة المسيحية مستمدة من رجل اللاهوت الإسكندري أويجينيس[40].

ارتبط سينيسيوس بعلاقة وطيدة بمعلمته هيباتيا استمرت إلى ما بعد مرحلة دراسته وتعليمه في الإسكندرية، إذ تبين عدد من الرسائل تلك العلاقة المتأصلة بينهما حتى بعد اعتناق سينسيوس المسيحية وبقاء هيباتيا على وثنيتها حتى وفاتها بطبيعة الحال، وشملت هذه الرسائل الفترة الزمنية الممتدة من سنة 394م إلى سنة 413م، وتكاد تنحصر هذه الرسائل (10، 15، 16، 33، 81، 124، 154)، وكانت الرسالة (33) هي أقدمها في سنة 394م تتحدث عن مدح شخص يعتقد أنه من أقارب سينيسيوس اسمه إلكسندر (Alexander) وهذه الرسالة من أقصر الرسائل ويبدو أنها مبتورة وغير مكتملة حتى أنها لم تتجاوز السطرين[41].

تنوعت أغراض الرسائل التي كان سينيسيوس قد بعث بها إلى معلمته هيباتيا، فإضافة إلى المراسلات الشخصية التي تتحدث عن أحوال سينيسيوس الخاصة ومدينته كانت هناك بعض الرسائل المتعلقة بالجانب العلمي الصرف مثل الرسالة (15) حول مقياس الكثافة الذي كان سينيسيوس في حاجة إليه وطلب من هيباتيا أن ترسله إليه وهذه الرسالة مؤرخة في سنة 402م[42]، وقد استكمل خطابه أن تصنع هيباتيا له هيدروسكوب (Hydroscope) بمواصفات دقيقة وألح عليها في طلبه هذا وهو ما يعتقد أنه كان مريضاً[43].

إلى أن تحرير الروح من الملذات المادية والنزوات لا يكون إلا بالتقشف واعتزال العالم والزهد فيه، ينظر: أحمد علي عجينة، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004م، ص45- 46.

(39) Vollenweider, S., "Enid Mittleres Zwischen Vater und Sohn: Zur Bedeutung des Neuplatonikers Porphyrios Fur die Hymnen des Synesios", *Studies in Byzantine History and Civilization* – 6, Turnhout, 2013, p.183.

(40) كان نظام أوريجنيس عبارة عن تعبير مسيحي بمفاهيم الفلسفة اليونانية، وقد مثل في العموم الجسر الرئيس الذي يربط بين العلم والفلسفة اليونانية والمعتقد المسيحي، كما أثرت مفاهيم المدرسة الإسكندرانية على أفكاره، وللمزيد حول حياة أويجينيس وآراءه الفلسفية، ينظر: فوادسواف تاتاركيفتش، فلسفة العصور الوسطى، ترجمة محمد عثمان العجيل، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص41- 48.

(41) Synesius, *Letter*. 33.

(42) Synesius, *Letter*. 15.

(43) مصطلح الهيدوسكوب غالباً ما يشير إلى الساعة المائية، لكن هذه الترجمة قد لا تكون متوافقة مع حالة الطلب الملحة، ومن المرجح أن سينيسيوس كان في حاجة إلى أداة الهيدرومتر "Hydrometer" أو شبية بها، للمزيد ينظر:
Deakin, M. A. B., "Hypatia and Her Mathematics", *The American Mathematical Monthly*, 101/3 (Mar., 1994), p.241.

إضافة إلى ذلك فإن إحدى مقالات سينيسيوس والمعنونة "هدية الاسطرلاب" تم إرسالها إلى بيلايمنيس (Pylaemenes) في القسطنطينية مع اسطرلاب من صنع سينيسيوس، وهو مقال ينصح أيضاً القادة والسياسيين للاهتمام بالعلوم "التطبيقية أو العقلية" على وجه الخصوص(44).

وقد صرح سينيسيوس في هذا الخطاب أنه صنع هذا الاسطرلاب بنفسه وبمساعدة هيباتيا، مستعيناً بأفضل صائغي الفضة لصناعته، ويستنتج من ذلك أن نظرية صناعة هذه الآلة كانت من هيباتيا عن أبيها ثيون ومن ثم قامت بدورها بتعليمه لسينيسيوس(45). وهذا ما يعطي تصوراً واضحاً عن العلوم التطبيقية التي كان سينيسيوس على الاطلاع بها من خلال تلك الرسائل والمقالات إضافة إلى العلوم الفلسفية والإنسانية الأخرى.

تجدر الإشارة في هذا السياق أن من أعظم العلوم والآراء التي استقاها سينيسيوس عن معلمته هيباتيا كانت الفلسفة الأفلاطونية الحديثة والتي كان لها تأثير كبير في حياته حتى بعد تحوله إلى المسيحية وإلى أي مدى تم توظيف تلك الفلسفة الوثنية في عقيدته وإيمانه المسيحي من خلال حياته العملية وكتاباته لتراتيل وترانيم دينية مسيحية(46)، حتى أن هذه التراتيل الموزونة في تراكيبها اللغوية لم تكن منسجمة مع مشاعره المشوشة وغير المنضبطة التي لا تسمح بالتعبير عن الشعر المسيحي في صورته الواضحة، علاوة على تمسكها بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة دون شك(47)، وليس بغريب أن الديانة المسيحية التي انتشرت في العالم كانت هي نفسها تأخذ من الفلسفات الأخرى وقد جلب الوثنيون الذين دخلوا الدين المسيحي الكثير من التعاليم الفلسفية الوثنية، وبذلك استمدت الفلسفة المسيحية بعض مفاهيمها من الأفكار الأفلاطونية الأرسطاطالية والرواقية وأخيراً الأفلاطونية الجديدة(48).

على أية حال ظلت صلة سينيسيوس بالفيلسوفة هيباتيا حتى نهاية حياتها في سنة 415م وتأتي الرسائل (10- 16- 81) من ضمن آخر ما كتب سينيسيوس في سنة 413م في حياته ولهيباتيا أيضاً، ففي الوقت الذي حملت الرسالة (81) خبر وفاة ابنه وبعضاً من تفاصيل حياته اليومية(49)،

(44) Lacombrade, "Hypatie, Synésios de Cyréne et Le Patriarcat Alexandrin", p.405.
(45) Deakin, "Hypatia and Her Mathematics", pp.240-241.
(46) Vollenweider, "Enid Mittleres Zwischen Vater und Sohn", p.184.
(47) Taylor, H. O., *The Classical Heritage of the Middle Ages*, Columbia University, 1903, pp.256-257.
(48) فوادسواف تاتاركيفتش، فلسفة العصور الوسطى، ص20.
(49) تتضارب الأخبار حول بداية حياة ومولد هيباتيا ما بين سنة 350 أو سنة 357م وبين سنة 370م وإن كان البعض يؤكد على أن مولدها كان في سنة 370م، وهي نفس السنة التي ولد فيها سينيسيوس ليكون عمرها عند وفاتها لم يتجاوز الخامسة والأربعون، وهي قريبة من سنة وفاة سينيسيوس. أيضاً ينظر:
Rist, J. M., "Hypatia", *Classical Association of Canada; Phoenix*, 19/3 (1965), p.215.

كانت الرسالتان (10- 16) ربما آخر ما أرسل من مراسلات سينيسيوس إلى هيباتيا والتي يصفها "بالأم والأخت والمعلمة" معلقاً على ما ينتابه من حياة الحزن والعزلة وفقد الأبناء والأصدقاء[50]، وبذلك تنتهي العلاقة بينهما في هذه المراسلات لتواجه هيباتيا مصيرها المحتوم ونهايتها المروعة على يد الرهبان المسيحيين في سنة 415م وربما بإيعاز من البطريرك كيرل (Cyrille) (412- 444م) والتحريض على مقتلها والذي كان قد خلف البطريرك ثيوفيلوس لبطريركية الإسكندرية سنة 412م وكذلك في مواصلة القضاء على الوثنيين وتدمير معابدهم وقمع تمرد اليهود في مدينة الإسكندرية[51].

هذا وعلى الرغم من التغيرات الكبيرة والعديدة التي كانت قد طرأت على واقع العلاقات المسيحية الوثنية وكذلك اليهودية في نهاية القرن الرابع الميلادي وبداية الخامس الميلادي فإن مراسلات سينيسيوس لم تعط صورة واضحة لتلك التغيرات بالرغم من أنه على صلة وثيقة من خلال مراسلاته بالشخصيات النافذة والمؤثرة في الحياة السياسية والدينية ورحلاته العديدة للمدن الكبرى في شرق الإمبراطورية الرومانية.

في حوالي عام 400م كانت مدينة الإسكندرية تمثل خليطاً متنوعاً ومختلفاً من الثقافات وكان المسيحيون يمثلون الأغلبية غير أنهم منقسمين على أنفسهم، في حين أن هناك الكثير من الوثنيين والذين كان منهم من يؤمن بآلهة الأولمب، وأولئك المنتمين لمدارس وطوائف مختلفة مثل أتباع الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، والغنوصيين علاوة عن اليهود[52].

في هذه الفترة كان سينيسيوس لا يزال على ديانته الوثنية وفلسفته المنتمية للأفلاطونية الحديثة ولم يكن قد اعتنق المسيحية حتى في أثناء سفارته إلى القسطنطينية الآنفة الذكر بين عامي (397- 401م) ولم يقم بذلك التحول في العقيدة والإيمان إلى الديانة المسيحية إلا بعد زيارته الإسكندرية في سنة 402م والتقائه بالبطريرك ثيوفيلوس الذي على يديه أخذ دينه الجديد وكذلك تزوج بامرأة مصرية مسيحية بعد أن طال به المقام في مدينة الإسكندرية[53]. ومع أن ذلك قد يسمح بتأكيد أنه أصبح مسيحياً، غير أنه لا يوجد دليل – حسب زعم البعض – أنه تعمد قبل سنة 410م عندما أصبح أسقف المدن الخمس[54].

---

(50) Synesius, *Letters*. 10, 16, 81.

(51) Lacombrade, "Hypatie, Synésios de Cyréne et Le Patriarcat Alexandrin", p.415;
ثيودور هول باتريك، تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ص31؛ مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية، ص256-257.

(52) Deakin, "Hypatia and Her Mathematics", p.234.

(53) Cameron, *Barbarians and Politics at the Court of Arcadius*,pp.14-19; Tovar, "El Libro de los Suenos de Sinesio de Cirene", p.72.

(54) عزيز سوريال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية، ص424.

وعن الحياة الدينية في إقليم المدن الخمس يبدو أن عدد الأساقفة المسيحيين فيها والتابعين لكنيسة الإسكندرية قد أخذ في ازدياد بشكل ملحوظ حتى شمل المدن والأرياف منذ بداية القرن الرابع الميلادي وحتى زمن سينيسيوس الذي انتشرت فيه المسيحية وأصبح هو رئيس أساقفتها متخذاً من مدينة طلميثة مقراً عاما للأسقفية[55]، وقد بينت عدة رسائل لسينيسيوس النشاط الذي كان يقوم به الأساقفة ورجال الدين في الدفاع عن مدنهم وقراهم والأعمال المسخرة لخدمة المسيحية لاسيما بناء الكنائس والأديرة، علاوة على انتعاش مدينة سينسيوس بلغراي (Balagrae) كمركز مسيحي بعدما كانت ذات شهرة وثنية نظراً لوجود معبد "ايسكولابيوس" والذي تم هدمه[56].

بعد سنوات ليست بالطويلة من اعتناق سينيسيوس المسيحية جاءت الفرصة مواتية لسيامته بمنصب الأسقفية في بلاده، ويبدو إلى حد كبير أن أسباب اختياره لهذا المنصب تكمن في حقيقتها إلى قدراته الشخصية وتعليمه العالي، وعلاقته ببطريرك الإسكندرية الذي كانت تربطه به علاقة حميمة إذ كان له الفضل في اعتناق المسيحية، علاوة على ذلك كله لم يكن يخفى على أحد في تلك الفترة عن علاقته بسلطات الإمبراطورية والشخصيات البارزة في القسطنطينية، وخاصة بعد تلك السفارة التي قام بها، لكن انتخابه رئيساً للأسقفية كان قد مر بمرحلة من التردد والمعارضة من سينيسيوس نفسه لتولي هذا المنصب، وربما يرجع ذلك إلى جملة من الاعتراضات اللاهوتية والمهام والواجبات التي يتطلبها هذا المنصب فضلاً عن تشربه الأفكار الأفلاطونية الحديثة مع حداثة عهده بالمسيحية وعقيدتها[57].

مع حالة الاعتراض التي أبداها سينيسيوس وخلال ستة أو سبعة أشهر إلا أن الأوضاع التي كانت تمر بها المنطقة قد ساهمت في قبول سينيسيوس رئاسة الأسقفية وخاصة وأن الأمر كان أيضاً منوطاً بتوليته من بطريرك الإسكندرية ثيوفيلوس، وقد تمثلت هذه الأوضاع السيئة والحرجة في الغارات التي كانت تشنها القبائل الليبية على الإقليم، فضلاً عن حالة الفساد والظلم التي بدأ يتعرض إليها

(55) الصغير أبو صبيع، "نبذة تاريخية عن حياة المسيحية المبكرة في ليبيا"، ص73.

(56) تبعد مدينة بلغراي حوالي 15 كيلو متر جنوب غرب مدينة قوريني (شحات) وهي حالياً في مدينة البيضاء، ينظر: ر. ج. جوتشايلد، دراسات ليبية، ص383- 387.

(57) Wagner, K., "Theophilus of Alexandria and the Episcopal Ordination of Synesius of Cyrene", Phronema: *Journal of St Andrew's Greek Orthodox theological College*, Sydney, Australia 29/2 (2014), pp.130-131.

السكان بعد تولي الحاكم الجديد أندرونيكوس في هذه الفترة أيضاً[58]، إضافة لاختيار السكان وانتخابهم لسينيسيوس لتولي هذا المنصب الرفيع والذي تم بالفعل في سنة 410م[59].

جاءت الرسالة (105) والتي أرسلها سينيسيوس لأخيه في سنة 409م، للتعبير عن حيثيات تولي منصب الأسقفية الذي كان قد اختير لتوليه، وهي وإن كانت موجهة إلى أخيه فهي في الواقع رسالة مفتوحة للمجتمع المسيحي في مدينة طلميثة والذي رأى سكانها أن يتولى شرف هذا المنصب، على أن ما احتوته هذه الرسالة من حالة التردد والواجبات والمهام العملية والفكرية التي يحتاجها المنصب قد تجعله في موقف الزهد فيه وعدم قبوله معبراً عن ذلك بقوله: "ولكن يجب أن يكون الكاهن أو القسيس رجل فوق الضعف البشري"[60].

ولعل مسألة رئاسة الأسقفية من قبل سينيسيوس لم تكن بالأمر الهين خاصة في ظل الظروف المتعلقة بمدى إيمان سينيسيوس بالديانة المسيحية وخضوعه لقوانين الكنيسة وعقيدتها، إذ استوجب عليه باعتناقه المسيحية وتولي رئاسة الأسقفية ترك آراءه الفلسفية وعدم الخوض في القضايا الجدلية من منطلق الفلسفة الأفلاطونية الحديثة حول أصل الروح وقيامة الجسد وخلق الكون ونهاية العالم، وكذلك الانفصال عن زوجته والعيش في حياة العزوبية[61].

من المرجح أن سينيسيوس في هذه المرحلة كان في صراع فلسفي مع نفسه وأفكاره في محاولة منه للتوفيق بين عقيدة ديانته المسيحية وآرائه الفلسفية الوثنية والتي تشبع بها منذ عدة سنوات، ساعياً إلى مقاربة فكرية تزيل كل التساؤلات الفلسفية والعقدية الكبيرة وتجمع بين فلسفته الأفلاطونية الحديثة، وعقيدته الأرثوذكسية.

ولعل هذه المقاربة التوفيقية جاءت من خلال التقارب بين سينيسيوس والبطريرك ثيوفيلوس الذي كان عالماً للرياضيات وساهم في وضع جداول رياضية مضبوطة لعيد الفصح[62]، والعلاقة الحميمة التي ربطته به وتجدرت بعد سيامته للأسقفية وتظهرها الرسائل العديدة في سنة 411م والتي اختلفت مواضيعها حول إعادة تنظيم شئون الكنيسة وقضايا لاهوتية أخرى، وقد ساهم ذلك كله في إيجاد تلك المقاربة والقيام بأعمال الأسقفية، مع التواصل في ذات الوقت تقريباً مع معلمته هيباتيا والتي لم تنقطع صلته بها حتى بعد إعلان مسيحيته.

(58) Barnes, T. D.,"When did Synesius Become Bishop of Ptolemais?", *Greek, Roman and Byzantine Studies*, 27/3, (1986), pp.325-328; Thory, *Roman Life Cyrenaica the Fourth Century*,pp.26-27.

(59) عزيز سوريال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية، ص424.

(60) Synesius, *Letter*. 105.

(61) Cameron, *Barbarians and Politics at the Court of Arcadius*, p.20; Rapp, *Holy Bishops in late Antiquity*, p.159.

(62) صبري أبو خير سليم، تاريخ مصر في العصر البيزنطي، ص50.

وقد عرض السيد واجنير (Wagner. K) ملابسات تلك الاعتراضات اللاهوتية لسيامة الأسقف سينيسيوس، وعمق الاختلافات الفلسفية والدينية حول القضايا المهمة والأسئلة الكبيرة عن أصل الروح وقيامة الجسد وبعثه بعد موته، وغيرها من القضايا الأخرى التي كانت مثار جدل بين الفلاسفة ورجال الدين المسيحي منذ ما قبل عصر سينيسيوس(63).

هذا ويبدو أن سينيسيوس كان منسجماً في حياته الجديدة بين دينه المسيحي وفلسفته الأفلاطونية الحديثة، فكم هي كثيرة تلك الرسائل والتراتيل الدينية التي حملت في طياتها تمسكه بهذه الفلسفة والتي ارتبطت في حقيقتها ارتباطاً وثيقاً بالقضايا الكبيرة والعظيمة في اللاهوت المسيحي، وكان لمرحلة تعليمه السابقة قبل اعتناقه المسيحية بما حوته من مشارب وآراء الفلسفة الأفلاطونية الحديثة الأثر الكبير في صياغة فكره الديني والفلسفي الجديد من خلال كل الرسائل والتراتيل والخطب ذات العلاقة(64)، وقد أشار في الرسالة (11) في سنة 410م والموجهة إلى حكماء بلاده حول قبوله منصب الأسقفية والإشادة كذلك بأيام شبابه التي كرسها لتعليمه الفلسفي وتأمله للعالم بعيداً عن الحياة العملية، وواجباتها الجسام(65).

جاءت سيامة سينيسيوس من البطريرك ثيوفيلوس في سنة 410م أسقفاً لمدينة طلميثة دون أن يكون مضطراً للتخلي عن آرائه وأفكاره الفلسفية(66)، كما أن سينيسيوس لم يتنازل عن زوجته وينفصل عنها حتى يتفرغ لرئاسة الأسقفية، وكانت من مسوغات هذا المنصب الأفضلية فيه لأولئك الرهبان العزاب والمحافظين على عفافهم(67). وقد علق سينيسيوس عن عدم انفصاله عن زوجته متسائلاً: "كيف يمكن أن أكون على خطأ؟ وزوجتي قد أعطانيها الله وقانون الأرض (قانون الكنيسة) وباركتها يد ثيوفيلوس نفسه"(68). وكانت العزوبية في الكنيسة من باب الوجوب والاستحباب للرهبان والقساوسة والعمل على بقائهم على عفتهم دون زواج، بما يتوافق وطبيعة المناصب المنوطة بهم وموافقتها لحياة الرهبنة(69). وقد جاء في باب ذكر الزواج واجتناب الزنا قول بولس الرسول "من لا

(63) Wagner, "Theophilus of Alexandria and the Episcopal Ordination of Synesius of Cyrene", pp.140-154.

(64) للمزيد حول هذه الفلسفة عند سنيسيوس ومن خلال تراتيله وترانيمه الدينية، ينظر:
Martinez., J. M. B., "Sinesio de Cirene, Intele Ctual. La Escuela de Hypatia en Alejandria", ***Gerión. Revista de Historia Antigua***,22/1(2004),pp.405-412; Vollenweider, "Enid Mittleres Zwischen Vater und Sohn", pp.183-200.

(65) Synesius, *Letter*. 11.

(66) Manimanis, "The Contribution of Byzantine Priests in Astronomy and Cosmology" , p.38.

(67) Tovar, "El Libro de los Suenos de Sinesio de Cirene", p.72.

(68) Synesius, *Letter*.105.

(69) أحمد علي عجينة، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ص88- 89.

يطيق العزوبية فليزوج لأن التزوج أصلح من التحرق" للحث ولتقديم العزوبية عن الزواج، ولذلك فمن لا يقدر على البتولية فليرتبط بامرأة تعينه على بلوغ مقاصده وكذلك بالنسبة للزوجة(70).

كانت واجبات وأعمال الأسقف الجديد كثيرة وخاصة تلك التي تعنى بشئون ونظم الكنيسة وتسوية الخلافات بين الأساقفة ورجال الدين، إضافة إلى محاربة الهرطقات والبدع مثل الأريوسية وغيرها، كما أن المواجهات التي وقعت بين سينيسيوس والحاكم أندرونيكوس حول إدارة شئون البلاد والمحافظة على أمن مدنها وقراها وضد الغارات المتكررة من القبائل الليبية كانت كبيرة هي أيضاً(71). لكن مع ذلك فإن الإقليم على ما يبدو قد شهد نشاطاً ملحوظاً لانتشار المسيحية وبناء الكنائس التي تشهد عليها البقايا والشواهد الآثارية للإقليم(72). وبعد ما توفي البطريرك ثيوفيلوس في سنة 412م وتولي خليفته بطريركية الإسكندرية، بعث سينيسيوس برسالة تهنئة للبطريرك الجديد كيرل لتولي هذا المنصب والمؤرخة في سنة 413م(73).

تجدر الإشارة في سياق الحديث عن الحياة الدينية لإقليم سيرينايكا، أن لسينيسيوس إشارات حول الجالية اليهودية في الإقليم، حيث تحدث في إحدى رسائله إلى أخيه أثناء رحلته بين الإسكندرية وقوريني عن اليهود الذين كان معهم على ظهر السفينة وكان عددهم قرابة نصف الركاب البالغ إجمالاً 50 شخصاً، وكان ربان هذه السفينة يهودي، ويعود تاريخ هذه الرسالة تقريباً إلى سنة 396م، وقد حملت في طياتها العديد من أخبار اليهود في تلك الفترة(74).

ثالثاً:- ملامح الحياة الاقتصادية في مراسلات سينيسيوس

حظي إقليم المدن الخمس باهتمام المؤرخين والكتاب القدامى وتحدثوا عن أهميته الاقتصادية أمثال سترابو وهيردوت وغيرهم، الذين تحدثوا عن خصوبة أراضيه وجودة إنتاج حصاده الذي تتعدد فيه مواسم تلك المحاصيل، فضلاً عن تربية الحيوانات التي لقت انتشاراً واسعاً فكان الأكثر شهرة في تربية الخيول(75). وقد جاءت الأسطورة اليونانية التي على ضوئها تأتي البدايات الأولى لتاريخ الاستعمار اليوناني للمنطقة، والتي تقول بأن سماء هذه البلاد مثقوبة للدلالة على وفرة الأمطار وكثرة الخيرات.

---

(70) يوحنا بن زكريا، الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، مكتبة المحبة، القاهرة، 2001م، ص77.

(71) Thory, *Roman Life Cyrenaica the Fourth Century*, pp.27-32.

(72) الصغير أبو صبيع، "نبذة تاريخية عن حياة المسيحية المبكرة في ليبيا"، ص90.

(73) Synesius, *Letter*.12.

(74) حول أخبار هذه الرحلة واليهود الذين كان سينيسيوس في صحبتهم، في الرسالة الرابعة، ينظر:

Stern, M., *Greek and Latin Authors on Jews and Judaism*, vol.3, Jerusalem,1984, pp.48-58.

(75) Thory, *Roman Life Cyrenaica the Fourth Century*, p.37.

ودون أدنى شك تطور اقتصاد المدن الخمس على مدى التاريخ اليوناني ومن بعده الروماني والبيزنطي، ونتج عن هذا التطور تغيرات كبيرة شملت معظم الأنشطة الاقتصادية التي عرفها عالم البحر المتوسط في تلك الفترة، على أن الفترة الرومانية والبيزنطية خلال التاريخ القديم من سقوط أسرة سيفروس عام 235م وحتى مجيء العرب المسلمين سنة 642م شهدت تراجعاً وانحساراً للمصادر الأدبية والتاريخية التي واكبت تاريخ المنطقة مع ما يمكن أن تضيفه البقايا الآثارية من تنوع ووفرة لتلك الأنشطة في هذا العصر(76). وقد تمثل نصوص سينيسيوس القوريني وكتاباته خاصة من حيث الأهمية التاريخية التي يمكن أن تضيفه رسائله وما تزخر به نصوص عن تاريخ المنطقة السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني، والعلائق التي ربطت مدن هذا الإقليم بمدن وعواصم الشرق البيزنطي.

حاول السيد جوتشايلد عدم التوقف عند رسائل سينيسيوس فحسب بل تتبع عقارات سينيسيوس الريفية والتي كتب منها معظم رسائله، وإن كان من المؤكد أن لسينيسيوس منزلاً لأسرته في مدينة قوريني ربما كان يستخدمه أخوه يوبتيوس وهو ما توضحه الرسالة (50). لكن سينيسيوس كان يفضل الإقامة بعيداً عن المدينة خلال الفترة التي كتب فيها رسائله، واختار الحياة الريفية على أن منزله الريفي بطبيعة الحال لم يكن بعيداً عن قوريني(77).

من الملاحظ أن الإقليم في عهد سينيسيوس قد تنوع فيه النشاط الاقتصادي بتنوع الموقع والبنية الاقتصادية التي كانت تمثلها الأنشطة والصناعات الريفية والمدنية، وهذا التطور الذي أظهرته عدد من نصوص سينيسيوس يبين مدى التداخل بين اقتصاد المدن والمنشآت والمؤسسات الريفية في تلك الفترة والتي من المرجح أنها في الحقيقة استمراراً لنمط الحياة السابقة في هذه المنطقة، وحتى وإن كانت تلك النصوص لم تكن واضحة بصورة كافية لاسيما في حركة النشاط الاقتصادي من زراعة وتجارة وصناعة، فإن التخمينات الأولية حول تلك السلع المنتجة والمصدرة يحتاج إلى مزيد من العمل الميداني، مع ما تؤكده الأدلة الأثرية عن الدور الاقتصادي للكنيسة في المجتمع القوريني(78).

في الرسالة (134) يشير سينيسيوس إلى متعة صيد النعام، والبضاعة التي عدت لتصدير شحنة من النبيذ في إحدى السفن، مذكراً صديقه بيلايمينس بالكميات الكبيرة المتوفرة من نبات السلفيوم وكذلك الزعفران، والتي لا يمكن شحنها على هذه السفينة بل سترسل لاحقاً في سفينة أخرى مع

(76) Laronde, A., " L'évolution de la Cyrénaïque durant l'antiquité tardive", *Académe des Inscriptions et Belles_Lettres*, Paris, (2011), pp.251-252.

(77) ر. ج. جوتشايلد، دراسات ليبية، ص381- 382.

(78) Wilson, A. I.,"Cyrenaica and the Late Antique Economy", *Ancient West and East*, 3/1, (2004), p.147.

النعام وزيت الزيتون[79]، وفي الرسالة (106) والتي بعثها سينيسيوس لأخيه يوبتيوس في سنة 406م، ذكر لبستان السلفيوم الذي كان ضمن العقارات الريفية ليوبتيوس أيضاً[80].

لم تخل بعض الرسائل من ذكر العديد من المنتجات الزراعية وما يرتبط بها من تربية الحيوانات ومشتقاتها، إضافة إلى الأسماك المملحة والتي كان بعضاً منها معداً للتصدير إلى الخارج، ومن هذه المنتجات المحلية القمح والعسل وحليب الماعز والنبيذ، فضلاً عن زيت الزيتون، والذي في حقيقة الأمر لم يكن من الصادرات الرئيسة، فمع فوائده الغذائية كان يستخدم أيضاً في إنارة المصابيح وتدليك الجسم[81]. وقد رافقت الحياة الريفية الهادئة التي عاشها سينيسيوس ممارسة هواية الصيد والتي أعدت لها الخيول والكلاب المدربة للصيد[82].

تأتي الرسالة (148) من أكثر الرسائل التي يتحدث فيها سينيسيوس لصديقه أوليمبيوس (Olympius) في سنة 408م عن تفاصيل الحياة الريفية وتفضيله لها عن حياة المدن الساحلية والسكن بالقرب من البحر، والذي يذكر نادراً ما يأتي إلى الميناء، لا بل إن السكان الذين يعيش معهم لا يستفيدون من البحر شيئاً، حتى الحصول على الملح، وبالتالي يأكلون لحومهم وخبزهم دون ملح، علاوة على عدم أكل الأسماك، معلقاً عن حياة الريف وسعادته فيها بسماعه لموسيقى الطبيعة، مبتعداً عن ضوضاء المدينة والطرق وسوء الأخلاق والمكر والجشع الذي تجلبه التجارة، وبالنسبة له فإن هذه الحياة توفر له متسعاً من الوقت للفلسفة والتأمل، ولكن لا وقت فيها لفعل الشر[83]. ومع ما يمكن أن توصف به نصوص سينيسيوس من أنها لصيقة بحياة الأرياف والقرى، لكن بعض الإشارات التي تذكر تظهر حركة دؤوبة للنشاط التجاري، وعلاقة المدن الساحلية بما فيها من موانئ ومرافئ بحركة تجارية نشطة وكثيراً ما كانت بعض هذه الموانئ وسيلة للتنقل من مدن الإقليم إلى العالم الخارجي.

كما أن تفاصيل سينيسيوس عن حياة الريف لا يمكن أن تكون في حد ذاتها دليلاً على اضمحلال المناطق الحضرية، أو تراجع وانهيار المدن على الإطلاق، لا بل إن الموانئ فيها استمرت لتكون بمثابة

(79) Synesius, *Letter*. 134.

(80) ر. ج. جوتشايلد، دراسات ليبية، ص384.

(81) Wilson, "Cyrenaica and the Late Antique Economy", pp.147-149.

(82) Thory, *Roman Life Cyrenaica the Fourth Century*, pp.42-46.

(83) يواصل سينيسيوس سرد تلك التفاصيل عن الحياة الريفية والتي يعتمد فيها السكان على بعضهم البعض في أعمال الزراعة ورعاية قطعان الأغنام والماعز وإعداد الخبز من القمح وطعام الغداء من الشعير المجروش، كما أن لهم الفواكه البرية والمزروعة والتي تجود بها بلادهم ذات التربة الخصبة، مضيفاً، ما تجود عليهم البلاد من عسل النحل وحليب الماعز وصيد الطرائد التي تساعدهم عليها الكلاب والخيول، للمزيد ينظر:

Synesius, *Letter*.148.

مستودعات ومراكز تنقل كما كان الحال منذ فترة الاستعمار اليوناني وظلت حتى في فترات لاحقة نشطة اقتصادياً وتجارياً[84].

ومن الملاحظ أن مدينة بطليمايس (طلميثة) قد أخذت تتقدم على حساب باقي المدن بما فيها مدينة أبولونيا (سوسة) حتى أصبحت عاصمة الإقليم ومركزاً دينياً مهماً بتولى سينيسيوس رئاسة أسقفيتها والتي كانت كنيستها من أكبر الكنائس في الإقليم[85]. هذا وهناك مجموعة من الرسائل التي تبين أن سينيسيوس كان يرسل ويستقبل رسائله بصورة منتظمة من أصدقائه بالخارج، ونعرف من رسائله (51- 101- 129) أن ميناء فيكوس (Phycus) الصغير كان المكان الذي يبعث منه هذه الرسائل[86]، وهو ما يظهر وجود حركة مستمرة بل ومتطورة لأعمال البريد من خلال تلك المراسلات التي أرسلها سينيسيوس واستقبلها من خارج هذا الإقليم، لا بل إن تنقلاته المتكررة إلى خارج سيرينايكا إلى الإسكندرية وغيرها من مدن الشرق يوضح صورة ذلك النشاط البحري لحركة السفن المغادرة والقادمة إلى مدن البنتابوليس.

رابعاً:- هجمات القبائل الليبية والمخاطر المحدقة بالإقليم

كثيرة هي الإشارات والشواهد التي يسوقها سينيسيوس في مراسلاته حول المخاطر التي هددت إقليم المدن الخمس وأريافها، والتي كان أشدها وأخطرها الغارات التي أخذت تشنها القبائل الليبية منذ نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلاديين، وما ترتب عنها من أعمال السلب والنهب التي رافقت تلك الحملات والغارات وعن جهود سكان المدن والأرياف في بناء التحصينات وإقامة الدفاعات العسكرية مع إعداد الفرق العسكرية لصد هذه الهجمات فكان لسينيسيوس الدور البارز من خلال مراسلاته في التحريض على دعم "مليشيات الجيش الشعبي" في المناطق التي بدأت تشهد مثل تلك الهجمات.

تتحدث رسائل سينيسيوس العديدة عن فترة غارات قبيلة الاستروريان (Austuriani) الليبية ما بين سنة 401- 413م، حيث يصف لحظات قدومها في الرسالة (130): "أعداد غفيرة كأوراق الشجر لا تحصى ولا تعد. يا حسرتاه على من فقدناهم من رجال على محاصيلنا أملنا الذي ذهب سدى. زرعنا حقولنا لتحصدها نيران الأعداء. كانت الثروة بالنسبة لأحدنا تتمثل في الماشية وقطيع الإبل والخيول... لكننا فقدنا ذلك كله، ذهب بأسره مع الريح... أكتب هذا وأنا سجين خلف الحصار والمتاريس".

(84) Bartson, *Cyrenaica in Antiquity*, pp.663, 716; Wilson, "Cyrenaica and the Late Antique Economy", p.150.

(85) Laronde, " L'évolution de la Cyrénaïque durant l'antiquité tardive", p.358;
الصغير أبو صبيع، "نبذة تاريخية عن حياة المسيحية المبكرة في ليبيا"، ص87- 90.

(86) يمكن المطابقة بين موقع فيكوس وموقع خليج "زاوية الحمامة" الموجود على بعد 25 كيلو متر غرب مدينة أبولونيا (سوسة)، ينظر: ر. ج. جوتشايلد، دراسات ليبية، ص382.

وفي رسالة أخرى (125) يشير إلى أعمال السلب والنهب التي طالت المناطق الريفية: "احتل العدو باتيا (Battia)... فأشعل النيران في الدراس ودمر الحقول وسبى النساء ولم يبق على رجل حي"[87].

إن غارات تلك القبائل الليبية البربرية – نسبة إلى البربر – على مناطق شاسعة في شمال أفريقيا في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلادي تعد من المسائل الشائكة والمواضيع التي تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث إذ شملت تحركات تلك القبائل من ولايات شمال أفريقيا في الغرب إلى مصر في الشرق مروراً بإقليم المدن الخمس، وهذه التحركات والهجرات يبدو أن أسبابها ودوافعها لا تزال غير واضحة على الرغم من أنها كانت موجهة إلى حد كبير باتجاه المدن والولايات الساحلية الخاضعة لسلطة الإمبراطورية الرومانية.

على أية حال يشير السيد روك (Roques. D) إلى إمكانية وجود علاقات برية كانت تربط إقليم المدن الخمس بإقليم المدن الثلاث (Tripolitania) وهي المنطقة التي تمثل آخر ولايات الشمال الأفريقي في اتجاه الشرق لكن النصوص التاريخية لا تمنح إلا أمثلة قليلة عن تلك العلاقات، وخلال عهد سينيسيوس فإن قبائل المازيك (Maziques) والاستروبان قد أخذت تنطلق من منطقة تريبوليتانيا خلال سنة 398م، وبدأت بشن غاراتها على المدن الخمس ما بين سنتي 405- 412م، بل استمرت بشن هجماتها إلى أن وصلت مصر[88]. وكانت هذه القبائل وتحديداً الاستوريان قد بدأت في إثارة القلاقل للقوات الرومانية المرابطة في المدن الساحلية في شمال أفريقيا وخاصة في مدينة لبدة الكبرى (Lepcis Magna) بإقليم طرابلس والتي تمت مهاجمتها منذ سنة 363م، ومحاصرتها حتى أن السكان استنجدوا بالقائد الروماني رومانوس (Romanus) فاشترط على المدينة أن تقدم أربعة مائة من الإبل لمحاربة هذه القبيلة وربما كانت هذه الغارات قد طالت مدينة صبراتة (Sabratha) أيضاً فأدت في العموم إلى تدهور اقتصاديات إقليم المدن الثلاث[89].

يبدو أن هذه الهجمات للقبائل الليبية من الاستوريان والمازيك على إقليم المدن الخمس قد بدأت منذ حوالي سنة 390 تقريباً، وقد تبعتها قبيلة لواتة الشهيرة في فترات لاحقة، وأمام ضعف القوات

---

(87) من وقت لآخر يذكر سينيسيوس قدوم العدو إلى مرتفعات سيرينايكا في الرسائل (13، 57، 62، 67، 69، 94، 95، 107، 108، 113، 130، 132، 133، 134) وأهمية الخيول في قتالهم الرسائل (13، 78، 104، 125، 130، 132، 133) وعن عجز قواتهم النظامية الرسائل (69، 107، 122، 125، 130، 132) وعن التسليح غير متكافئ الميليشيات المحلية والتي ساعد هو في تنظيمها الرسائل (78، 104، 107، 108، 122، 125، 133) وتسود معظم هذه الرسائل حالة ونبرة حزن هستيرية وقد ذكر في إحدى رسائله (69) أن العدو: "انتشرت أعداده، وعاث في الأرض فساداً. فقدنا كل شيء، دمروا كل شيء. أكتب في تلك اللحظة التي خلت فيها الأرض من كل شيء سوى المدن، لا شيء". ينظر: Mattingly, D. J., "The Laguatan: A Libyan Tribal Confederation in the Late Roman Empire", *Libyan Studies*, 14 (1983), p.98.

(88) Roques, *Synésios de Cyréne*, p.120.

(89) Abdelalim, M. K., "Libyan Nationalism and Foreign Rule in Graeco – Roman Times",in: *Libya Antiqua: Report and Papers of the Symposium Organized* by Unesco in Paris, (1984), p.159.

البيزنطية في المدن الخمس، أسندت مهمة الدفاع عن المدن والقرى والكنائس لرجال الدين، وكان سينيسيوس في تلك الفترة من عمل على مساعدة الشمامسة في تنظيم وتدريب المتطوعين، وقد قدم الأغنياء في الريف المساعدات المالية اللازمة، وتم تحويل بعض المنازل والكنائس إلى شبه قلاع صغيرة كانت تتبادل فوق سطحها إشارات لإنذار المناطق السكنية المهددة عند اقتراب الخطر(90). وخلال هذه السنوات اتجهت الغارات باتجاه مصر حيث قامت بأعمال السلب والنهب للمناطق المجاورة لنهر النيل(91).

إن تحركات القبائل الليبية وهجماتها على إقليم المدن الخمس وكذلك مصر، يكاد يكون في الفترة نفسها إذ يؤرخ بداية أولى تلك الغارات على مصر تحديداً ما بين سنة 395- 410م(92)، وهي تمثل الفترة التي غطتها مراسلات سينيسيوس وتحدثت بعض رسائله عن تلك الغارات، على أن الأسباب الحقيقية وراء تلك التحركات والهجرات وما رافقها من أعمال السلب والنهب يجب أن توضع في إطار الهجرات البشرية والعوامل المؤثرة في تلك الحركة البشرية والتي على ما أعتقد قد جاءت بصورة عكسية خلافاً لعدد من الهجرات السابقة التي كانت تتجه من الشرق إلى الغرب(93).

في بداية سنة 404م شن الاستوريان هجوماً موسعاً على المدن الخمس وفي الوقت الذي اجتاحت قواتهم المناطق الريفية عملوا على حصار المدن، وهي نفس السياسة التي تم تطبيقها على المدن الثلاث(94). ومن الملاحظ أن غارات هذه القبائل قد أخذ حيزاً كبيراً من رسائل سينيسيوس وتحدث عنها باستفاضة في مراسلاته، ففي الرسالة (73) والتي أرسلها إلى صديقه ترويلوس (Troilus) في سنة 409م، لطلب التدخل من البلاط الإمبراطوري في حالة الفوضى والدمار التي تمر بها البلاد، وما آلت إليه من ويلات الحرب والمجاعة، وقد مدح سينيسيوس القائد الروماني أنيسيوس الذي عين منذ فترة قصيرة على هزيمته لقوات الاستوريان(95).

هذا ويشمل سجل الاستوريان الحوادث المدمرة وغزو الأراضي الزراعية الخصبة، وحرق المحاصيل وقطع أشجار البساتين، وتدمير المزارع وقتل ملاكها وسرقة قطعان الماشية، وقد جاءت هذه الأعمال في نصوص سينيسيوس وفي صورته التشاؤمية لتلمح بانهيار الاقتصاد بمختلف أنشطته(96). ومع

(90) سمير وديد جرجس، هجمات البربر على وادي النطرون، ط1، مطبعة كامل الحديثة، مصر، 2003م، ص33-34.
(91) Roques, *Synésios de Cyréne*, p.120.
(92) سمير وديد جرجس، هجمات البربر على وادي النطرون، ص65- 72.
(93) يشير السيد سمير جرجس إلى عدد من الأسباب والدوافع وراء تلك الغارات على مصر، ولكنها تظل في إطارها العام وفي صورتها الشمولية التحليلية، والتي كانت تهدف إلى أعمال السلب والنهب وجلب العبيد وسرقة الأموال، والهدم والتدمير، للمزيد ينظر: سمير جرجس، هجمات البربر على وادي النطرون، ص48- 62.
(94) Abdelalim, "Libyan Nationalism and Foreign Rule in Graeco – Roman Times", p.159.
(95) Synesius, *Letter*. 73.
(96) Mattingly, "The Laguatan", p.105.

تكرار تلك الغارات في ظل غياب دور قوات الإمبراطورية البيزنطية الفعال، جعل سكان المناطق الريفية والمدن يعملون على إقامة فرق من الجيش الشعبي "المليشيات المحلية" والتي كان قادتها من الكنيسة الذين عملوا على تنظيم الفرق وإقامة التحصينات اللازمة على حدود مزارعهم وحقولهم وهو ما يتضح من بعض نصوص تلك المراسلات (78، 107، 125)[97].

هكذا كان واقع حياة الإقليم الذي أصبح تستبيحه غارات القبائل الليبية، في عهد سينيسيوس والتي أطلق على منفذيها باللصوص وقطاع الطرق، ولا يصلح تسميتهم بالأعداء، ومع محاولاتهم العديدة والمتكررة يبدو أن هجماتهم لم يكن هدفها سوى السلب والنهب وليس الاستيطان على الأغلب، مع عدم إغفال تلك التحركات العسكرية والتنظيمات الدفاعية التي أقامها السكان في المدن والأرياف لصد غارات هذه القبائل المغيرة[98].

إضافة إلى تلك الغارات فإن نصوص سينيسيوس ورسائله كثيراً ما تضمنت مخاطر وأزمات عدة كانت تحدق بالمجتمع القوريني في نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلادي، وتحدث في حسرة وألم عن هذه الأزمات من حروب وأوبئة وانتشار للظلم والجور ووطأة الضرائب التي عانى السكان منها الأمرين، حتى كانت سبباً في سفارته إلى القسطنطينية لمطالبة الإمبراطور بإلغائها، علاوة على زحف الجراد ووقوع الزلازل[99]، كالزلزال الذي ضرب المنطقة الشرقية والوسطى من البحر المتوسط في سنة 365م وكانت آثاره كارثية على المنطقة، وإن كان لا يوجد شواهد تاريخية أخرى تدل على حدوث زلزال آخر ضرب إقليم المدن الخمس[100]. وقد تحدث عن حسرته لما آلت إليه أحوال بلاده واصفاً سيرينايكا بأنها "الفقيرة والكئيبة والواسعة الخراب"[101]. أما انتشار الفساد وكثرة المظالم التي أحدثها الحاكم أندرونيكوس في حياة المجتمع القوريني رديفاً لتلك المخاطر والأزمات والذي رأى فيه سينيسيوس صورة للحاكم الشرير ووجهاً من وجوه الشياطين[102].

وعلى الرغم من تلك الكآبة والحزن التى تتضح بها النصوص السينيسيوسية، فإنه من الأهمية بمكان الإشادة هنا بقيمة الأعمال الكبيرة لسينيسيوس القوريني وكونها تسلط الضوء على الفترة

(97) Wilson, "Cyrenaica and the Late Antique Economy", p.151.

(98) للمزيد حول غارات القبائل الليبية على إقليم المدن الخمس، ودور سينيسيوس في صدها، ينظر:
Thory, *Roman Life Cyrenaica the Fourth Century*, pp.5-16.

(99) Wilson, "Cyrenaica and the Late Antique Economy", p.151; Cameron, *Barbarians and Politics at the Court of Arcadius*,p.71.

(100) ر. ج. جوتشايلد، دراسات ليبية، ص378؛
Laronde, " L'évolution de la Cyrénaïque durant l'antiquité tardive", p.352.

(101) Bartson, *Cyrenaica in Antiquity*, p.662.

(102) Slootjes, *The Governor and his Subjects in the Later Roman Empire*, p.169.

الرومانية المتأخرة، وخاصة لأوضاع إقليم المدن الخمس الذي يمر بمرحلة انتقال جديدة باعتباره ولاية بيزنطية خاضعة لسلطة القسطنطينية، وهذه الأعمال والتفاصيل الأخرى عن عصره لم تأت في أعمال كتاب آخرين بل وصلتنا من خلال أعماله نفسها، والتي سجلت هموم بلاده وانشغالاته كإنسان وشاعر وأسقف، فكانت دليلاً ثرياً على حياة مدن وأرياف الإقليم(103)، بل وتمثل رسائله إحدى أكمل الصور وأكثرها جاذبية عن الحياة الريفية في شمال أفريقيا(104). وعلى الرغم من بعده عن حياة المدن والسعي خلف تولي المناصب، بل الخلود إلى حياة الريف والتأمل والصيد، فإنه قد سيم أسقفاً لمدينته فكثرت مهامه وانشغالاته، وهو الذي ردد قبل ذلك "جثوت على ركبتي طالباً الموت أولى من كرسي الأسقفية"(105).

الخاتمة

ومع ما تقدم يمكن التأكيد على أهم النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة وهى:

1- كانت نظرة سينيسيوس للأحداث التي مرت بها منطقة المدن الخمس نظرة تشاؤمية حملت في طياتها دون أدنى شك الكثير من المبالغات التي ما ينفك يذكرها ويطلقها على كثير من الكوارث والنوازل التي حلت على بلاده خلال تلك الفترة.

2- مثلت فترة حياة الأسقف القوريني نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلادي في حقيقتها مرحلة انتقالية حرجة وخطيرة لإقليم قورينائية على كافة مناحي الحياة الخاصة بهذه المنطقة وكذلك للإمبراطورية البيزنطية على حد سواء.

3- تفردت رسائل سينيسيوس بأهمية تاريخية كبيرة من خلال ماحظيت به من عناوين ومواضيع مميزة لا تكاد تذكر إلا في تلك الرسائل التي بعث بها لأصدقائه في مدن وحواضر شرق البحر المتوسط.

4- كانت النصوص التي كتبها سينيسيوس غاية في التنوع، ودقة في الوصف لكثير من حياة المدن والأرياف، وبالتالي كجزء من حياة المجتمع البيزنطي بصورة عامة، فكان سينيسيوس أشبه ما يكون بالأسقف الفيلسوف والمحارب الكنسي والراهب المؤرخ.

(103) Bartson, *Cyrenaica in Antiquity*, pp.661-662.

(104) ر. ج. جوتشايلد، دراسات ليبية، ص381.

(105) حبيب سعيد، تاريخ المسيحية: فجر المسيحية، ج1، دار جيل للطباعة، مصر، د.ت، ص167- 168.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع الأجنبية:-

1 -Abdelalim, M. K., "Libyan Nationalism and Foreign Rule in Graeco – Roman Times",in: *Libya Antiqua: Report and Papers of the Symposium Organized* by Unesco in Paris, (1984).

2 -Barnes, T. D.,"Synesius in Constantinople", *Greek, Roman and Byzantine Studies*, 27/1 (1986).

3 -Barnes, T. D.,"When did Synesius Become Bishop of Ptolemais? ", *Greek, Roman and Byzantine Studies*, 27/3, (1986).

4 -Bartson, L. J., *Cyrenaica in Antiquity*, Ph.D. Thesis, 2 vols., Harvard University, 1982.

5 -Boivin, L., "Gravitas in the Desert: an Analysis of Selected Letters of Isidore of Pelusium and his Influence on the Secular and Ecclesiastical Affairs of the Fifth Century Ce", *Queen's University*, (2014).

6 -Cameron, A., *Barbarians and Politics at the Court of Arcadius*, University of California, 1993.

7 -Deakin, M.A.B.,"Hypatia and Her Mathematics", *The American Mathematical Monthly*, 101/3 (Mar., 1994).

8 -Driver, R. E., *Temple Conversion and Cultural, Ritual and Topographic Memory in Alexandria, Cyrene and Carthage*, M.A.Thesis, University of Birmingham, 2013.

9 -Laronde, A., " L'évolution de la Cyrénaïque durant l'antiquité tardive", *Académe des Inscriptions et Belles_Lettres*, Paris, (2011).

10 -Laronde, A., "Roman Agricultural Development in Libya and its Impact on the Libyan Roman Economy before the Arab Conquest", *Libya Antiqua: Report and Papers of the Symposium Organized* by Unesco in Paris, (1984).

11 -Locombrade, C., "Hypatie, Synésios de Cyréne et Le Patriarcat Alexandrin", *Byzantion: Revue Internationale des Etudes Byzantines*, 71/2 (2001).

12 -Manimais,V.Theodosiou,E. and Dimitijevie. M., "The Contribution of Byzantine Priests in Astronomy and Cosmology II. Great Church Scholars in the Early Byzantine Empire", *European Journal of Science and Theology*, 7/4 (Dec. 2011).

13 -Martinez., J. M. B., "Sinesio de Cirene, Intele Ctual. La Escuela de Alejandria", en Hypatia ,22/1(2004)***Gerión. Revista de Historia Antigua***.

- Mattingly, D. J., "The Laguatan: A Libyan Tribal Confederation in the Late Roman Empire", *Libyan Studies*, 14 (1983). 14
- Rapp, C., *Holy Bishops in late Antiquity: The Nature of Christian Leadership in an Age of Transition*, Berkeley- Los Angeles- London, University of California Prees, 2005. 15
- Rist, J. M., "Hypatia", *Classical Association of Canada; Phoenix*, .19/3 (1965) 16
- Roques, D., *Synésios de Cyréne et la Cyrénaique du Bas-Empire*, . Paris, 1987 17
-Slootjes, D., *The Governor and his Subjects in the Later Roman .Empire*, Boston, 2006 18
19 -Stern, M., *Greek and Latin Authors on Jews and Judaism*, vol.3, Jerusalem, 1984.
-Synesius., *The Letters of Synesius of Cyrene*, Trans. Fitzqerald, A, www.Livius.org. 20
21-Taylor, H. O., *The Classical Heritage of the Middle Ages*, Columbia .University, 1903
-Tovar, S. T., "El Libro de los Suenos de Sinesio de Cirene" *Suenos, Ensuenos y Visiones en la antiguedad Pagana y Cristiana* (Codex no 18), .Madrid 22
-Vollenweider, S., "Enid Mittleres Zwischen Vater und Sohn: Zur Bedeutung des Neuplatonikers Porphyrios Fur die Hymnen des Synesios", .*Studies in Byzantine History and Civilization* – 6, Turnhout, 2013 23
-Wagner, K., "Theophilus of Alexandria and the Episcopal Ordination of Synesius of Cyrene", Phronema: *Journal of St Andrew's Greek Orthodox .theological College*, Sydney, Australia 29/2 (2014) 24
-Wilson, A. I.,"Cyrenaica and the Late Antique Economy", *Ancient West and East*, 3/1, (2004). 25

المراجع العربية والمعربة:-

1- أحمد علي عجينة، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004م.

2- ثيودور هول باتريك، تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية (الكنيسة التقليدية الأصلية)، ترجمة ميخائيل مكسي اسكندر، مكتبة المحبة، القاهرة، 2005م.

3- حبيب سعيد، تاريخ المسيحية: فجر المسيحية، ج1، دار جيل للطباعة، مصر، د.ت.

4- رأفت عبد الحميد، طارق منصور، مصر في العصر البيزنطي 284- 641م، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001م .

5- ر. ج. جوتشايلد، دراسات ليبية، ترجمة عبد الحفيظ الميار، أحمد اليازوري، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1999م.

6- سمير وديد جرجس، هجمات البربر على وادي النطرون، ط1، مطبعة كامل الحديثة، مصر، 2003م.

7 - صبري أبو الخير سليم، تاريخ مصر في العصر البيزنطي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2009م.

8- الصغير أبو صبيع، "نبذة تاريخية عن حياة المسيحية المبكرة في ليبيا ومعالمها الأثرية"، مجلة قاريونس العلمية، العدد الأول والثاني، السنة الثالثة عشر، بنغازي، 2000م.

9- عزيز سوريال عطية، تاريخ المسيحية الشرقية، ترجمة ميخائيل مكسي إسكندر، مكتبة المحبة، القاهرة، 2005م.

10- فوادسواف تاتاركيفتش، فلسفة العصور الوسطى، ترجمة محمد عثمان العجيل، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.

11- مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية: النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981م.

12- يوحنا بن زكريا، الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، مكتبة المحبة، القاهرة، 2001م.